خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢٧ من رجب ١٤٣٦ هـ / ١٥ من أيار ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير﴾ [الإسراء: ١].

معاشر السادة: هُناك خوارق للعادات أنبأنا الله عنها في كتابه، وهذه نَتلقاها جميعاً بالتصديق، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وربما نتساءل: هل هذه الخوارق المصدوقة شذت عن قانون السببية، أم هي مُنسجمةٌ مع قوانين أخرى لم نُحط بها علماً؟ قَد يكون هذا أو ذاك، فإن خالق الكون ومبدع نواميسه فوق هذه النواميس جل شأنه، إنَّه يحكمها ولا تحكمه، ويَقف تنفيذها إذا شاء أو يمضيه في طريقه، ومن العلماء من يرى أن قوانين الكون لا تنخرم ولا تتوقف، لأنه هكذا شاء بارئها، وما يَقع من خوارق إنما يقف وراء سنن كونية قد يكشف العلم عنها أو تبقى مستورة أبداً، فنحن لا ندري كيف تمت ولادة عيسى عليه السلام، وقد كانت مريم نفسها عاجزة عن فهم ما وقع لها، وحائرة ما تقول للناس، وكأن الله أراد إشعارها بأن الأمر كله خارج عن النطاق المعتاد، فألهمها أن تهز إليها بجذع النخلة، فإذا الأصابع الواهنة تهز الجذع الغليظ ليتساقط الرطب فوقها، ثم يَتكلم الوليد في المهد ليبرأ ساحة أمه، ويَشهد بعظمة خالقه الذي يقول للشيء كن فيكون، إننا صدقنا هذا الخبر لأن اللهَ أنبأنا به، وهو بلا رَيب شُذوذ عن القواعد العامة التي تَنتظم شؤون الخلق.

لقد بين الله عز وجل أنه فصل في كتابه أسباب الإيمان وأسانيد النبوة كافة، ولكن الناس أبوا الرضا بهذا اللون من الإقناع، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١] وما هذا بعد أن أعرضوا، طلبوا أشياء معينة زعموا أنها وحدها هي التي تدعوهم إلى الإيمان، ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ

نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] ودعك من المطالب التي أملاها العناد والسخف من سلسلة هذه المقترحات الطويلة ثم تأمل: أتفجير ينبوع من الأرض ينظر إليه البشر على أنه عملٌ تنزل قوى من السماء لإتمامه؟ فما هو إذاً عمل القوى الإنسانية؟.

إن المرء في طفولته يعتمد على أبيه دائماً في جلب كل خير وإتمام كل عمل، أفليس من حق الأب إذا رأى ابنه جاوز الطفولة أن يضرب على يديه ويتركه يتجمش وحده مشقة السعي واقتحام المستقبل ويحمل أعباء الرجولة؟ ولله المثل الأعلى، هكذا صنع الله مع عباده، لقد أرضى الإنسانية في طفولتها بألوان من الخوارق، حتى إذا اشتد عودها واستوى فكرها تركها لتستخدم مواهبها الفكرية ولتتبين الصواب والخطأ، ويوم أن تعرف البشرية العقل في قبول دين أو رفضه فستعرف من تلقاء نفسها كيف تستغل هذا العقل في تفجير الينابيع وتحويل رمال الصحراء إلى حدائق غناء، وهذا بعض ما طلب أعراب الجزيرة من رسول الله ﷺ ليصدقوا رسالته، وقد طلبوا منه أن يرقى في السماء، ولكن الله أحب أن يكشف لهم عن سقم البواعث التي توحي بهذه المطالب، وأن يثير فيهم الإيمان بإنسانيهم المهدرة، وأن يرد الحرمة إلى عقولهم المتحجرة المحتقرة، ولذلك يهتف عقب هذه المقترحات: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣] وقد حدث بعدئذٍ أن رقى النبي ﷺ في السماء ليلة الإسراء بعد تقديم هذه الاقتراحات بأمدٍ طويل، فكان وقوع الارتقاء على هذا النحو دليلاً ناطقاً على أن الحكمة الإلهية لم تَكترث قط بمطالب الكفار ولم تعرها أي قيمة، بل جاء الرقي في السماء ليلة المعراج مظهر تكريم بحتٍ من الله لنبيه صلوات الله وسلامه عليه، لم تنزل به الإرادة العليا على رغبة البشر، ولم يُرتب على إيقاعه على ما يترتب غالباً على وقوع التحدي من إيمان أو كفران، بل تركت مسألة اتباع النبي ﷺ أو التخلي عنه موكولاً إلى المسألة العقلية الفريدة، معجزة القرآن الكريم، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

معاشر السادة: إننا في هذا اليوم الأغر المبارك، نستظل بذكرى مناسبة الإسراء والمعراج، في ظل ذكرى مناسبة دينية جليلة، إنها مناسبة الإسراء والمعراج، وقد أحاط بهذه المناسبة إطار كثيب من الأحزان والآلام، أحزان اللاجئين من الأرض المقدسة بعدما شَرَّدهم عدوان اليهود واستباح حماهم وأكل حقوقهم، وآلام إخوانهم من الهرب والمسلمين الذين يكابدون الأمرين من مؤامرات السياسة العالمية وتجاهلها لأوضح

القواعد ونكوصها عن أول الواجبات، فماذا يقول المسلمون في مناسبة الإسراء والمعراج؟ إن هذه الذكرى يجب أن تكون حافزاً دائماً يستصرخ الهمم الميتة لتسترجع ما فقدت وتحفظ ما ورثت، وإلا فالويل للعرب، ولله درُّ الشاعر عندما قال:

تبينتُ أن الحق إن لم تتح له ... بوسل يخشى ظلمها فهو باطل
لعمرك لو أغنى عن الحق أنه ... هو الحق ما قام الرسول يقاتل
فلا تحسبن الحق ينهض وحده ... إذا مِلت عنه فهو لا شك مائل
أقمه وأسنده ودَعِّم بناءه ... وزد عنه زود الليث والليث صائل
ولا تسندن الحق بالقول وحده ... فإن عماد الحق ما أنت فاعل

إن اليهودية قد أقامت إلى جورانا ديناً ودولة، وهي ماضية في خططها التي نشأت عليها، تُشعل جذوة العقيدة في القلوب لتحيط حكومة إسرائيل بسياج من الحديد والنار، وقد آخت العقيدة اليهودية تحت علم التوراة بين الوافدين من ألمانيا وبولندا وبين الوافدين من أمريكا وفرنسا، فأصبحوا صفاً واحداً يحركه هدفٌ واحد، وقد نرى المشاة في جيش إسرائيل من يهود الشرق، وبحارة الأسطول من فلندا وأستونيا، والطيارين من أمريكا وانكلترا، ربط هؤلاء وأولئك ما وقر في نفوسهم أن اليهودية دين ودولة.

معاشر السادة: إن شر ما رُمي الإسلام به في الغارة الأخيرة على أرضه هذا التمزيق الذي فرق بين أهله وجعلهم شيعاً متناكرة، وخلق من بلادهم إمارات وممالك يدهشك عدها ويثيرك إحصاؤها، وكذلك صنع زبانية الاستعمار بالعرب والمسلمين، فقطعوهم في الأرض أمماً شتى، وكانوا أمة واحدة، ووزعوهم طرائق قدداً، وكانوا من قبل طريقاً قاصداً، وتصور جسماً متماسكاً يقال لكل عضو فيه عِش وحدك ولا تفكر في غيرك، فتكون اليد دولة والرجل دولة أخرى، والعين دولة والأنف دولة أخرى، لا صلة بين رأس وقلب ولا بين قلب وأطراف، أهذا عمل طبيب يريد الحياة، أم عمل جزار يبغي القتل؟.

إن ساسة أوربا رسموا خطتهم وأنفذوها على هذا النحو المهلك، والبلية المختفية وراء هذه المأساة –تأمل أيها العربي، تأمل أيها المسلم إلى هذا الكلام– هي إحياء النزعات الدينية والقومية الضيقة، إن الجرح الذي نفذ إلى أحشاء الإسلام جاء من هذا الداء، وإثارة هذه النعرات الدينية والعصبيات القومية هي أقرب طريق لضرب الإسلام وتسليم أوطانه كلها إلى الأجانب الغاصبين.

إن الجهود التي تضافرت لتحول العرب والمسلمين إلى هذه الأفكار والمشاعر الجديدة رسمتها سياسة خبيثة شديدة الوطأة علينا، شديدة الحقد على ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، فاحتالت على صبغة إذابة الإسلام وقتل عُراه بإشاعة النعرات الدينية والقومية الإقليمية، فنالت بذلك ما لم تنل بالعدة والعتاد.

الذين يعزفون على وتر الطائفية في البلدان العربية، وخاصة في سورية، إنما هم يريدون أن يخدموا الكيان الصهيوني الغاشم، هذه حقيقة أصبح يعرفها الأعمى والبصير والعالم والجاهل، وهؤلاء –معاشر السادة– يصدق عليهم قول هتلر عندما قال بعد أن سألوه: من أحقر الناس في حياتك؟ قال: الذين ساعدوني على احتلال أوطانهم. فقنوات الكذب والتضليل والدجل، ومن يقف ويتصدر منابرها، يهدفون إلى خدمة الكيان الصهيوني من باب الإشاعة النعرات الطائفية والعصبيات القومية.

إن حكام الخليج يحاولون اليوم أن يصوروا للعالم بأسره أن حزب الله خاصة والشيعة عامة هم جسم غريب في كيان الأمة العربية والإسلامية، وهذا الكلام مرفوض عقلياً ودينياً وخلقياً:

مرفوض دينياً لأن النبي ﷺ قال في الحديث الذي رواه أبو داود: ((ليس منا من دعا إلى عصبية)).

ومرفوض عقلياً لأن حزب الله الذي يتمثل بالمقاومة اللبنانية هم عرب أصليون، هم لبنانيون، هم لهم جذور عميقة وتاريخ عظيم في أرض لبنان الحبيب.

ومرفوض خلقياً ليس من أخلاقنا كعرب وكمسلمين، أن نشيع فيما بيننا هذه الألفاظ، وأن نعزف فيما بيننا على وتر الطائفية، وأن نقتل بعضنا البعض حتى ينظر إلينا بنو صهيون وهم يضحكون، لأنهم يعيشون آمنون مطمئنون، ونحن نقتل بعضنا البعض، تحت هذه العناوين الباطلة والفاشلة، ثم هم يعيشون في أمان واستقرار، وبأيدينا نكون بذلك حققنا ما عجز عنه بنو صهيون، ولماذا يقاتل حزب الله في القلمون اليوم؟ لماذا؟ هناك رسالتين واضحتين:

الأولى: إن حزب الله يرد الجميل للجمهورية العربية السورية، وذلك لأن شارون ومن جاء بعده عندما أراد أن يَحرق ويفني المقاومة وقف الأسد حافظ الأسد بوجههم رحمه الله تعالى، وقال لهم: لا، هؤلاء لبنانيون، سندافع عنهم حتى آخر نفس، وعلى هذا المنهج القويم سار القائد المقاوم بشار الأسد، وحفظ هذا العهد العظيم، فنحن عندما نجد حزب الله يُقاتل في جبال القلمون نُدرك هذه الرسالة التي يَنبغي أن نعلمها ولا نَجهلها.

الرسالة الثانية: إن حزب الله يدرك، إن المقاومة اللبنانية تدرك، أن أمن لبنان من أمن سوريا، وان استقرار لبنان من استقرار سوريا، فلبنان قائمة ما دامت سوريا قائمة، ولا سمح الله تذهب هباء منثوراً لبنان إذا سقطت سورية، مِن هذا المنطلق يَقف حزب الله مدافعاً ومقاوماً، لهؤلاء الذين يدعون الإسلام، لهؤلاء الذين يدعون الغيرة على الأمة العربية والإسلامية، فنقول لحكام الخليج وخاصة لآل سعود: إن وجه الشبه بينكم وبين إسرائيل، هو أن إسرائيل تعمل على إبادة حزب الله وعلى حربه في ليلهم ونهارهم، لأن يُهدد كيانهم ووجودهم ومصالحهم كما يدعي اليهود، أما أنتم آل سعود فإنكم تقولون: إن أنصار الله المتمثلين بالملك عبد الملك الحوثي، المتمثل بالمتمثل عبد الملك الحوثي، تخافون من التمدد الشيعي في أراضي اليمن، خوفاً على حرمة ومصلحة الحرمين الشريفين كما تدعون، فإننا نجد هذا الادعاء، هذا يُشابه هذا وهذا يُطابق هذا، وما فعلتم يا خونة بحق الشعب العربي اليمني الأبي الصامد هو صورة منطبقة تماماً عما فعل اليهود بغزة الجريحة الحبيبة.

من هنا ندرك –يا سادة– ونقول للعالم بأسره، نقول للخليجيين: أنتم تخوفون العرب والمسلمين من تمدد شيعي في منطقة الشرق الأوسط، فأرونا يا كذبة، مَن قاتل الشيعة؟ أرونا من قاتل حزب الله؟ أرونا على مَن اعتدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية؟ ها هي إيران قالت لكم تعالوا إلى الحوار في اليمن، قالت لكم تعالوا إلى الحوار في سورية، تعالوا إلى الحوار في العراق، لكنكم قلتم: لا، سنقتل، سندمر، سنحرق، سنبيد الأمة بأسرها، حتى تبقى إسرائيل آمنة مطمئنة، فالشعوب العربية اليوم الكثيرون أدركوا أن آل سعود الذين يتمثلون الفكر الوهابي الخطير أصبحوا لعنة على العرب والمسلمين، وعلى الوطن العربي بأسره.

والمضحك أن خرافة المسلمين أبو بكر البغدادي، هذا الذي يدعي بأنه خليفة، هو خرافة، هذه عقيدتنا وهذا مبدؤنا يُهدد آل سعود بأنه سيدخل أرضهم ومملكتهم، وسيقيم هناك دولة الإسلام ودولة الخلافة، سمن كلبك يأكلك، هكذا حدث بهم، وهكذا حدث معهم.

إن الإرهاب اليوم، هم من أنشؤوا أبا بكر البغدادي، هم من أنشؤوا ودعموا القاعدة، بإرشاد أمريكي صهيوني واضح، واليوم أصبحوا يُعانون الأمرين،

إن العرب مُشكلتهم أنهم لا يفقهون، وأنهم لا يفهمون، والتاريخ بين أيديهم أكبر شاهد وأكبر دليل، كم وكم حذر من مفكرين وعلماء وساسة مِن مغبة ما يحدث من سورية، وقالوا لهم وعلى رأسهم القائد المؤمن بشار حافظ الأسد، عندما قال: إن هذا الزلزال سيرتد عليكم، أنتم لستم في مأمن، نعم هم ليسوا

في مأمن على الإطلاق، لكنهم قالوا: إن هذا الكلام لا يَعنينا لا من قليل ولا من كثير، وها هم اليوم بدؤوا يُكابدون ويعانون الأمرين، ويشعرون أن بساط الأمن الذين يعيشون عليه ويتنعمون من خيراته بَدأ ينسحب من تحت أقدامه شيئاً فشيئاً، وفي هذا الموقف أتذكر قول الله ﷻ، واسمعوا يا آل سعود، واسمع يا أردوغان، واسمعوا أيها القطريون، الله قال: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكرُ السَّيِّئُ إلا بِأَهلِه﴾ [فاطر: ٤٣] افهموها إن شئتم، وإن شئتم لا تفهموها، والويل لكم من الله قبل التاريخ، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـــية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى اله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم إنا نسألك أن تُعيد مناسبة الإسراء والمعراج على العرب والمسلمين بالنصر والخير واليمن والبركة، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تَنصر المدافعين عن هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر المدافعين عن قضية فلسطين، عن قضية الأقصى الشريف، اللهم إنا نسألك أن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق القائد المؤمن بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق